Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حسب شريف » ، والآخر « قليل ، قمىء ، باذّ الهيئة ، دميم ، وخامل الذكر مجهول » ، وتساوى كلامهما مقدارا ووزنا ، ومع هذا فقد أعجب الناس بالثانى أكثر من إعجابهم بالأول ، لأن الشىء من غير معدنه أغرب .

وقد شبه الجاحظ ذلك بنوادر الصبيان ومُلح المجانين ، لأن « ضحك السامعين من ذلك أشد ، وتعجبهم به أكثر » .

وقد كان العرب يعيبون النَّوك والعِىّ والحمق ، وتعددت أشعارهم فى هذا الشأن ، إما بالإشادة بالعقل وأهميته ، من مثل قول الشاعر :

إذا كنتَ متَّخِذا خليلا ... فلا تَثِقنَّ بكل أخى إخاء
وإن خُيِّرت بينهمُ فألصق ... بأهل الفضل منهم والحياء
فإنّ العقل ليس له إذا ما ... تفاضلت الفضائل من كِفَاء

وقول الشاعر :

ولم أرَ مِنْ عدمٍ أضرّ على امرىءٍ ... إذا عاش وسْط النَّاسِ منْ عدمِ العقلِ

أو يحذرون من (البوهة) ، (والدفناس) ـ وهما بمعنى الطيش والحمق ـ يقول الشاعر :

ولا تَقْربى يا بنت عمِّىَ بوهة ... مِنَ القومِ دفْناسًا غبيًّا مُفنَّدا

بل إنهم بالغوا ، فرأوا الحمق فى معلِّم الكُتّاب ، وراعى الغنم ، وكثير القعود مع النساء والحاكة ، والغزالين ، وإن ناقشهم الجاحظ فيما يتصل برعاة الغنم ، فى تعليقه على المثل : « أحمق من راعى ضأن ثمانية » ، فأنكر ذلك مستشهدا بأن عدة من جِلّة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام رعوا الغنم ، كما ناقش ما يتصل بالمعلمين ، فرأى أنّ منهم الفقهاء والعلماء والشعراء والخطباء ، وصار يعدد أسماء بعض المشاهير . وبذلك ، يتضح ـ فيما نرى ـ نسبية الأحكام وأهمية إطلاقها بتعميم مجحف ، أو شطط ظالم .

على أن لاختلاط العقل درجات ومراتب ولهذا ، قال الجاحظ فى مطلع باب إثر حديثه عن « النَّوكِىّ » [1] :

---

(١) الجاحظ ، البيان ١ / ٢٥٠ .